أثر أسباب النزول في التوجيه النحوي (عود الضمير مثالا)

د. حسين علي محمد
قسم الدراسات القرآنية، الجامعة الإسلامية/ فرع بابل

The effect of the reasons for descent in the grammar guidance (the return of the conscience as an example)

Dr. Hussain Ali Muhammad
College of Islamic Sciences, Islamic University / Babel Branch.
Email: hussainali82@iunajaf.edu.iq

Abstract
The research seeks - after defining the reasons for descending - to show the effect that the reason for descending has on the grammatical guidance, and on the pronoun in particular as an example of that.
Interpreters and Arabizers differ a lot in the subject of the pronoun, whether it is connected or separate, although the Arabic language goes to the fact that the pronoun is mentioned briefly and succinctly, and this necessitates the designation of the name that the pronoun belongs to, but this did not prevent the existence of places in the Holy Qur'an in which the commentators differed And the Arabizers, and they had various opinions in determining the name to which the pronoun belongs, and the reason for descent as an element of the external elements had an impact on determining that name.
The research will reveal the effect of the reason for revelation in the grammatical guidance by mentioning Quranic verses that had the effect of the reason for revelation in determining the noun to which the pronoun belongs; To be a face added to the possible faces that were said in it.
Keywords: Return of conscience, grammatical guidance, reason for descent, linguistic context.

ملخص البحث:
يسعى البحث– بعد التعريف بأسباب النزول– إلى بيان الأثر الذي يؤديه سبب النزول في التوجيه النحوي، وفي عود الضمير على وجه التحديد كمثال على ذلك.
يختلف المفسرون والمعربون كثيرا في عود الضمير متصلا كان أم منفصلا، فعلى الرغم من أنّ اللغة العربية تذهب إلى أنّ الضمير إنما يُذكر اختصارا وإيجازا، وهذا يحتّمُ تعيّنَ الاسم الذي يعود عليه الضمير، إلا أنّ ذلك لم يمنع من وجود مواضع في القرآن الكريم اختلف فيها المفسرون والمعربون، وكانت لهم آراء شتى في تحديد الاسم الذي يعود عليه الضمير، كان لسبب النزول كعنصر من العناصر الخارجية أثر في تعيين ذلك الاسم.
سيكشف البحث عن أثر أسباب النزول في التوجيه النحوي عن طريق ذكر آيات قرآنية كان لسبب النزول فيها أثره في تعيين الاسم الذي يعود عليه الضمير؛ ليكون وجها يضاف إلى الوجوه المحتملة التي قيلت في ذلك.
الكلمات المفتاحية: عود الضمير، التوجيه النحوي، سبب النزول، السياق اللغوي.

المقدمة:
اهتم المفسرون بالسياق اللغوي، فالقرآن نص لغوي قبل أن يكون شيئا آخر، والنظر فيه يستدعي الاعتداد أولا بالبعد اللغوي، إلا أنّ ذلك لم يكن كافيا في كشف المعنى الذي يكتنف النص، فكان للعنصر الخارجي حضوره في كتب التفسير، ولا سيّما أسباب النزول، التي تمثل سياقَ حالٍ ماضية.

لم يكن التوجيه النحوي بمنأى عن العناصر الخارجية التي اجتهد المفسرون باستحضارها، ذلك أنّ المعنى والإعراب مرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا، و توجيه النص نحويا يعتمد أساسا على المعنى، من هنا اختلف في بعض الأحيان التوجيه النحوي لبعض النصوص نظرا لظهور عنصر جديد يمثله سبب النزول.

سيسلط البحث الضوء على أثر أسباب النزول في التوجيه النحوي، وسيكون عود الضمير مثالا على ذلك، وإنما اخترت عود الضمير؛ لأنه من الأمور المشكلة نحويا، وكان لسبب النزول رأيه في عود الضمير في المسائل التي سأتناولها.

وبعد النظر في مسائل الموضوع استقر تقسيم البحث على النحو الآتي:

- **المقدمة:**
- **توطئة:**
- **في أسباب النزول:**
- **في عود الضمير:**
- **أثر أسباب النزول في عود الضمير، وفيه:**

أثرها في عود ضمير الرفع المنفصل الدال على الواحد

أثرها في عود ضمير الرفع المنفصل الدال على الجماعة

أثرها في عود ضمير الرفع المتصل

أثرها في عود الضمير المستتر

أثرها في عود ضمير الجر

-**الخاتمة:**

- **مصادر البحث:**

توطئة:

لا يقتصر تشكل المعنى النصي على العنصر اللغوي فحسب، بل ثمة عناصر أخرى خارج النص اللغوي، وهي في النص المنطوق تكون مرافقة زمانيا ومكانيا للعنصر اللغوي، فالسياق الخارجي الذي يكون فيه الخطاب يكون عاملا مهما في بيان الدلالة المرادة من النص المنطوق، بل إحدى شقي الدلالة؛ وأقصد بهما المقال والمقام، أو المعنى الوظيفي للغة وسياق الحال.

ففي اللغة المنطوقة تُغني هذه العناصر المتكلم عن التعبير لفظيا عما يحيط به من ظروف تكتنف الخطاب، فهي كفيلة بالتعبير عن نفسها، لتشكل مع المنطوق خطابا يمثل حالة معبرة تفصح عن المراد؛ فالمتكلم ليس مضطرا للتعبير لسانيا عن العناصر التي يتضمنها الخطاب، هذا في اللغة المنطوقة، أما في اللغة المكتوبة فقد يضطر الكاتب إلى بيان المقام كتابة؛ ليصور المعنى بدقة، ولا يترك القارئ مضطربا بين هذا المعنى وذاك[1].

[1] –يمكن تبيّن ذلك في الروايات والرسائل المكتوبة ونحوها، فالكاتب يجد نفسه مضطرا إلى بيان أمور ليس بالكلام المنطوق حاجة إليه، كأن يذكر في السلسلة المكتوبة حالات معينة كأن يكون الخطاب المفترض يدور في المساء والظلام حالك، أو المطر منهمر، أو ثمة مجموعة من الناس مزدحمون في المكان، وكان الحوار هادئا ثم احتدم، ونحو ذلك مما لا حاجة لذكره في لغة الخطاب.

فلا يمكن تصور اللغة نسقا مستقلا، وخارجا عن الموقف، ذلك أنّ اللغة وسيط لإنجاز الفعل الاجتماعي؛ من هنا ينبغي أن تلاحظ في سياقها.

فالعنصر اللغوي يتمثل بمستوياته المعروفة عند اللغويين، وهي: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، فضلا عن الدلالة المعجمية، وهذه لا تعطينا "إلا معنى المقال، أو المعنى الحرفي كما يسميه النقاد، أو معنى ظاهر النص كما يسميه الأصوليون وهو...معنى فارغ تماما من محتواه الاجتماعي والتاريخي، منعزل تماما عن كل ما يحيط بالنص من القرائن الحالية" [1].

لم يكن النص القرآني بمنأى عن حاجته إلى السياق، ولكنه لما كان نصا مكتوبا فهذا يعني أنه خلو من السياق الحالي الحي تماما، لذلك استدعى المفسرون والمعربون مجموعة من العناصر الخارجية التي مثلت السياق الحالي وقت نزول القرآن؛ لتساعدهم في كشف معاني النصوص القرآنية وإعرابها، وإبعادها عن الاحتمال، فمعاني النصوص لا تتضح إلا بالسياق الذي ترد فيه، ولكن ليس السياق الحالي الحي الذي يرافق الخطاب، وبالمعنى الذي أقره اللسانيون.

في القرآن الكريم آيات محكمات هن أم الكتاب، وفيه آيات متشابهات، وفي تحديد هذه الآيات وتلك، وتمييز الأولى عن الثانية خلاف، بل دون ذلك خرط القتاد، فلم يُتفق على شيء من ذلك البتة[2]، وقد كان ذلك مدعاة لدخول النص القرآني في فضاء التأويل الواسع، فالباب مفتوح على مصراعيه للمفسرين لكي يُدلي كل واحد منهم بدلوه، يدفعه إلى رأيه الذي يتبناه ما يحمل من عقيدة، ومن مزاج لغوي، لتأخذ الاحتمالات وكثرة الدلالات مساحة تصل إلى أضعاف حجم النص المكتوب.

ولعلّ أقدم نص صريح أشار إلى هذا المعنى قول الإمام علي (ع) من وصية له لابن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج: "لا تخاصمهم بالقرآن فإنّ القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون" [3].

ففيه دليل على أنّ القرآن يحتمل وجوها من التأويل[4]، فإن احتجَّ طرفٌ بظاهر آية تمكن الآخر أن يأتي بتأويل لها يوافق ما استقرّ من رأي عنده.

في أسباب النزول:

لقد كان لسبب النزول أثر بارز في تفسير آي القرآن، وبيان معانيه ، فقد سعى المفسرون إلى ربط آيات القرآن بأسباب نزولها ليعيشوا الموقف والحالة، مما يساعدهم على تفسير الآيات، والوصول إلى المراد من النصوص، يقول الواحدي: يمتنع "معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[5].

وسبب النزول هو "ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه مبينة لحكمه أيام وقوعه"[6]؛ لذا يمكننا أن نقول إنّ أسباب النزول تمثل سياقَ حال ماضية تتحدث عن الحالة المكتنفة لنزول القرآن؛ فهي وإن كانت لا تمثل السياق الحالي

---

[1] – اللغة العربية معناها ومبناها: 337– 338.

[2] – ذكر الزركشي في المحكم والمتشابه في القرآن الكريم ثلاثة أقوال: ((أَحَدُهَا: أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مُحْكَمٌ لقوله تعالى: ((كتاب أحكمت آياته))[سورة هود: 1]، وَالثَّانِي: كُلُّهُ مُتَشَابِهٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ((اللَّهُ نَزَّلَ أحسن الحديث كتابا متشابها))[سورة الزمر: 23]، وَالثَّالِثُ... أَنَّ مِنْهُ مُحْكَمًا وَمِنْهُ مُتَشَابِهًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ((مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أم الكتاب وأخر متشابهات))[سورة آل عمران: 7]))، ثم ذكر ثمانية أقوال في المحكم، وأكثر منها في المتشابه. ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2/ 68– 69، والإتقان: 3/ 3– 4.

[3] – شرح نهج البلاغة: 18/ 218.

[4] -ينظر: شرح نهج البلاغة: 18/ 218.

[5] – أسباب نزول القرآن: 8.

[6] – مناهل العرفان في علوم القرآن: 150.

الحي، إلا أنها تتحدث عن جزء مهم من السياق الحالي الذي رافق نزول هذه الآية أو تلك، وقد أشار الشاطبي إلى هذا المعنى بقوله: "معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران: أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن، فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب، من جهة نفس الخطاب، أو المخاطِب، أو المخاطَب، أو الجميع ... الوجه الثاني: وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع" [1].

ويقول ابن عاشور إنّ "لِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ مَدْخَلاً فِي ظُهُورِ مُقْتَضَى الْحَالِ وَوُضُوحِهِ" [2]، وذهب أيضا إلى "أَنَّ الْقُرْآنَ لَوْ لَمْ يَنْزِلْ مُنَجَّمًا عَلَى حَسَبِ الْحَوَادِثِ لِمَا ظَهَرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِهِ مُطَابَقَتُهَا لِمُقْتَضَى الْحَالِ وَمُنَاسَبَتُهَا لِلْمَقَامِ وَذَلِكَ مِنْ تَمَامِ إِعْجَازِهَا" [3].

وقد أطلق بعض أهل البلاغة مفهوم (القرينة الحالية) على سبب النزول، وذلك في أثناء تحليلهم للنصوص القرآنية، يقول الدسوقي في قوله تعالى: **سمح**صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ **سجى** [سورة البقرة: 138]، "إن كان الخطاب للمسلمين فالمعنى: أن المسلمين أمروا بأن يقولوا: صبغنا الله تعالى بالإيمان صبغة، ولم نصبغ صبغتكم أيها النصارى؛ فعبر عن الإيمان بالله بصِبْغَةَ اللَّهِ للمشاكلة؛ لوقوعه في صحبة صبغة النصارى تقديرا بهذه القرينة الحالية التي هي سبب النزول من غمس النصارى أولادهم في الماء الأصفر، وإن لم يذكر ذلك لفظا"[4].

والقرآن على قسمين: الأول: نزل ابتداء من غير سبب، والثاني: نزل مرتبطا بسبب[5]، وليس بالضرورة أن يتفق المفسرون على سبب واحد للنزول، فربما ذكروا أكثر من سبب لنزول آية بعينها[6]؛ وقد كان نتاج ذلك أن يدخلوا في دائرة يتسع فيها الاحتمال، وتكثر الآراء.

ومهما يكن من أمر فإنّ لأسباب النزول بالغَ الأثر في كشف المعنى، ولها تأثير في توجيه النص نحويا، ومن اعتدادهم بسبب النزول في التوجيه النحوي، ما ذُكرَ في قوله تعالى: **سمح**لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ **سجى** [سورة النساء: 166]، فـ(لكن) حرف للاستدراك لا يبتدأ به، ولا بدّ له من مستدرَك[7]، وليس ثمة شيء قبله مذكور.

قال ابن قتيبة إنّ ذلك من الاختصار؛ "لأنه لما أنزل عليه: إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ [سورة النساء: 163] قال المشركون: ما نشهد لك بهذا، فمن يشهد لك به؟ فترك ذكر قولهم وأنزل: لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ" [8].

وفي البحر المحيط: "الِاسْتِدْرَاكُ بلكن يَقْتَضِي تَقَدُّمَ جُمْلَةٍ مَحْذُوفَةٍ، لِأَنَّ لَكِنْ لَا يُبْتَدَأُ بِهَا، فَالتَّقْدِيرُ مَا رُوِيَ فِي سَبَبِ النُّزُولِ وَهُوَ: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قَالُوا: مَا نَشْهَدُ لَكَ بِهَذَا، لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ" [9].

---

[1] –الموافقات: 3/ 294. 294.
[2] - التحرير والتنوير: 1/ 41.
[3] – التحرير والتنوير: 19/ 20.
[4] – حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: 4/ 40، وينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: 4/ 589.
[5] - ينظر: التحرير والتنوير: 1/ 46.
[6] - ينظر: تفسير البغوي: 1/ 12.
[7] - ينظر: شرح التسهيل: 2/ 6، والتذييل والتكميل: 5/ 9.
[8] – تأويل مشكل القرآن: 146– 147.
[9] – البحر المحيط: 4/ 140.

ويؤيد ما ذهب إليه ابن قتيبة ما ذكره الواحدي في سبب النزول، إذ قال "إِنَّ رُؤَسَاءَ أَهْلِ مَكَّةَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالُوا: سَأَلْنَا عَنْكَ الْيَهُودَ فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ لا يعرفونك، فأتنا بِمَنْ يَشْهَدُ لَكَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ}" [1].

ومنه قوله تعالى: سمحوَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِسجى [سورة لقمان: 6]، اختلف المفسرون في معنى الفعل (اشترى)، فقال بعضهم الشراء المعروف بالثمن، وقال آخرون: بل معنى (يشتري): يختار لهوَ الحديث ويستحبه[2]؛ واختلافهم هذا مبني على اختلافهم في سبب النزول، فمن قال بالأول استند إلى أنّ الآية "نَزَلَتْ فِي شِرَاءِ الْقِيَانِ وَالْمُغَنِّيَاتِ"[3]، والمعنى على الشراء الحقيقي.

ومن قال بالثاني استند إلى أنّ الآية "نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ تَاجِرًا إِلَى فَارِسَ فَيَشْتَرِي أَخْبَارَ الْأَعَاجِمِ فَيَرْوِيهَا وَيُحَدِّثُ بِهَا قُرَيْشًا وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثِ عَادٍ وَثَمُودَ، وَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثِ رُسْتُمَ وَإِسْفِنْدِيَارَ وَأَخْبَارِ الْأَكَاسِرَةِ، فَيَسْتَمِلُحُونَ حَدِيثَهُ وَيَتْرُكُونَ اسْتِمَاعَ الْقُرْآنِ، فَنَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ" [4]، وقيل: إن (لهو الحديث) هو الغناء، وفيه نزلت[5]، ومعنى الاشتراء على القولين: الاستملاح والاختيار؛ لأنهم يستملحون حديثه ويتركون الإصغاء إلى القرآن، أو يختارون الغناء على القرآن.

ويترتب على ذلك اختلاف في التوجيه النحوي للإضافة الواردة في النص، فإذا كان الاشتراء حقيقة يكون الكلام على حذف مضاف، أي: من يشتري ذات لهو الحديث[6]، فالمضاف محذوف أقيم المضاف إليه مقامه، وأعرب بإعرابه.

أما إذا كان الاشتراء بمعنى الاختيار والاستماع فلا حذف، قال السمين الحلبي: "باب الإضافةِ بمعنى «مِنْ» لأنَّ اللهو يكون حديثاً وغيره كبابِ ساجٍ وجُبَّةِ خَزٍّ، وقيل: هو على حذف مضاف أي: يشتري ذواتِ لَهْوِ الحديثِ؛ لأنها نزلتْ في مشتري المغنّيات" [7].

فالتوجيه النحوي للإضافة في الآية المذكورة يعتمد على المعنى المراد من النص، ولما كان تركيب الإضافة يحتمل معنيين استنادا إلى الاختلاف في سبب النزول، احتمل تبعا لذلك توجيهين نحويين.

ولم تخلُ كتب النحو من الإشارة إلى أسباب النزول في التوجيه النحوي، ففي قوله تعالى: سمحوَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّسجى [سورة النساء: 127] ، قال ابن هشام: "فَإِنَّمَا حذف الْجَار فِيهَا لقَرِينَة، وَإِنَّمَا اخْتلف الْعلمَاء فِي الْمُقدر من الحرفين فِي الْآيَة لاختلافهم فِي سَبَب نُزُولهَا؛ فَالْخِلَاف فِي الْحَقِيقَة فِي الْقَرِينَة" [8]، فالنحويون منعوا حذف حرف الجر مع الفعل (رغب) لعدم تعيّن المحذوف[9]، أهو (في)، أم (عن)؟ والمعنى يختلف مع كل تقدير.

---

[1]– أسباب النزول: 187.

[2] – ينظر: تفسير الطبري: 20/ 126.

[3]– أسباب النزول: 345.

[4]– أسباب النزول: 345.

[5] – ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 15/ 438.

[6] – ينظر : البحر المحيط: 8/ 409.

[7] – الدر المصون: 9/ 60.

[8] – مغني اللبيب: 887، وينظر: شرح التصريح: 1/ 469.

[9]– ينظر: التذييل والتكميل: 7/ 15، والمساعد على تسهيل الفوائد: 1/ 469.

قال الأشموني: "وأما قوله تعالى: {وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ}، فيجوز أن يكون الحذف فيه لقرينة كانت، أو أن الحذف لأجل الإبهام ليرتدع من يرغب فيهن لجمالهن، ومن يرغب عنهم لدمامتهن وفقرهن؛ وقد أجاب بعض المفسرين بالتقديرين" [1].

والقرينة سبب النزول، قال الصبان في تعليقه على نص الأشموني المذكور: "حاصل الجواب الأول أنه لا إجمال في الآية؛ لأن قرينة سبب النزول تدل على الحرف المحذوف ولا يرد عليه اختلاف العلماء في المقدر، هل هو (في)، أو (عن)، لأنه لاختلافهم في سبب النزول؛ فالخلاف في الحقيقة في القرينة... وحاصل الثاني أن الإجمال مقصود في الآية لعموم الفائدة وإنما يمتنع الإجمال إذا لم يقصد لنكتة. قوله: "لقرينة كانت" أي حين النزول يفهم منها المراد وهو (في) عند القائلين أن سبب النزول يدل على معنى (في) فقط، و(عن) عند القائلين أنه يدل على معنى (عن) فقط، وقيل إن المقول في شأنهم كانوا فرقتين فرقة ترغب فيهن لما لهن وفرقة ترغب عنهن لدمامتهن، وهذا لا ينافي وجود القرينة إذ لا مانع من قيام قرينة في حق كل تناسبه" [2].

والآية موضع خلاف بين المفسرين، منشأ هذا الخلاف عدم ذكر حرف جر مع الفعل (رغب)، فبه يتعين المعنى المراد، أما وهو محذوف فالنص يحتمل المعنيين، جاء في تفسير الرازي: "هَذَا يَحْتَمِلُ الرَّغْبَةَ وَالنَّفْرَةَ، فَإِنْ حَمَلْتَهُ عَلَى الرَّغْبَةِ كَانَ الْمَعْنَى: وَتَرْغَبُونَ فِي أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ، وَإِنْ حَمَلْتَهُ عَلَى النَّفْرَةِ كَانَ الْمَعْنَى: وَتَرْغَبُونَ عَنْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ لِدَمَامَتِهِنَّ" [3].

وكان لسبب نزول الآية أثر في تعيين المحذوف، فيتعين حذف حرف الجر (عن)، استنادا إلى ما روي عن عائشة أنها قالت: "هذا في اليتيمة تكون عند الرجل، لعلها أن تكون شريكتَه في ماله، وهو أولى بها من غيره، فيرغب عنها أن ينكحها ويعضُلها لمالها، ولا يُنكحها غيره كراهيةَ أن يشركه أحد في مالها" [4].

وفي رواية أخرى أنه "كان جابر بن عبد الله الأنصاري ثم السُلَمي له ابنة عَمّ عمياء، وكانت دميمة، وكانت قد ورثت عن أبيها مالا فكان جابرٌ يرغب عن نكاحها، ولا يُنكحها رهبة أن يذهب الزوج بمالها، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وكان ناس في حجورهم جوارٍ أيضًا مثل ذلك؛ فجعل جابر يسأل النبي صلى الله عليه وسلم: أترثُ الجارية إذا كانت قبيحة عمياء؟ فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: نعم!! فأنزل الله فيهن هذا" [5].

وقيل إنّ المحذوف (في)، والمعنى: (ترغبون في نكاحهن لجمالهن)، ذكره الطبري في غير موضع[6].

وفي رواية أخرى ذكرها الطبري في سبب نزول الآية، يجعل الحرفين مرادين، وهو قوله في رواية تنتهي لابن عباس أنه قال: "فكان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبَه، فإذا فعل بها ذلك لم يقدر أحد أن يتزوّجها أبدًا. فإن كانت جميلة وهَوِيها، تزوّجها وأكل مالها. وإن كانت دميمة منعها الرجل أبدًا حتى تموت، فإذا ماتت ورثها. فحرَّم الله ذلك ونهى عنه"[7].

---

[1] – شرح الأشموني: 1/ 443.

[2] – حاشية الصبان: 2/ 132- 133.

[3] – التفسير الكبير: 11/ 234.

[4] – تفسير الطبري: 9/ 254.

[5] – تفسير الطبري: 9/ 257، وثمة روايات أخرى ذكرها الطبري، وفي ما ذكرت أصبت الحاجة.

[6] – ينظر: تفسير الطبري: 9/ 263- 264.

[7] – تفسير الطبري: 9/ 264.

تجلّى من المسألة أنّ الاستعانة بقرينة سبب النزول، كانت سببا في تعدد المعنى، وفي احتمال النص أكثر من توجيه نحوي، وأنّ الاستعانة بهذه القرينة لم تقتصر على المفسرين فحسب، بل ربما أخذ بها بعض النحويين في توجيهاتهم النحوية.

في عود الضمير:

ورد في الكافية لابن الحاجب أنّ الضمير "ما وضع لمتكلم، أو مخاطب، أو غائب، تقدّمَ ذكره لفظا، أو معنى، أو حكما"[1]، ويكون منفصلا ومتصلا، فالمنفصل ما استقل بنفسه، والمتصل ما لم يستقل بنفسه، فيكون دائما متعلقا بغيره، ولا يكون المنفصل إلا في محل رفع أو نصب، أما المتصل فيكون كذلك ويكون في محل جر أيضا[2].

فالضمير يؤتى به بعد تعيّن الاسم اختصارا، فقد يعود على غير مذكور، إذا كان في الكلام ما يُرشد إليه[3]، فـ"لا بدّ للضمير من مفسر يبين ما يراد به، فَإِن كَانَ لمتكلم أَو مُخَاطب فمفسره حُضُور من هُوَ لَهُ وان كَانَ لغَائِب فمفسره نَوْعَانِ لفظ وَغَيره"[4]، فاللفظ كقوله تعالى: سمحوَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖسجى [الذاريات: 47]، وغيره كقوله تعالى: سمحإِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ سجى [القدر: 1]، الضمير المنصوب يعود على القرآن، وهو معلوم غني عن التفسير، وإن لم يجر له ذكر لفظا.

والضمير اسم معرفة، ولا يجوز أن يأتي المتكلم به إلا إذا عرف المخاطب على أي شيء يعود، يقول سيبويه: " وإِنَّمَا صار الإضمار معرفة لأَنَّكَ إِنَّمَا تضمِر اسما بعد ما تعلم أَنَّ مَنْ يحدَّث قد عرف مَن تعنى وما تعنى، وأَنَّك تريد شيئا يعلمه"[5].

وربما تتعدد الأسماء المذكورة قبل الضمير، ويكون كل واحد منها صالحا لتفسيره. تحدث النحويون عن هذه الحالة، وبسطوا القول فيها، وملخص حديثهم أنّه يتعيَّن عود الضمير على أقرب مذكور، ولا يكون لغيره إلا بدليل[6]؛ وقد يكون الدليل من خارج النص اللغوي.

من كل ما تقدم نستنتج أنّ الضمير اسم معرفة يجب أن يتعين الاسم الذي يعود عليه، سواء متقدما كان لفظه أم متعينا كان معناه، ولكن لما كان النص القرآني نصا مكتوبا فقد كان عود الضمير فيه من المسائل المشكلة التي أخذت مساحة واسعة من الخلاف.

مسائل في أثر أسباب النزول في عود الضمير:

يُعدّ الضمير من المسائل النحوية المشكلة في القرآن الكريم، فكثيرا ما يختلف المفسرون والمعربون في عود الضمير، وكان السياق اللغوي العامل الأهم في تحديد الاسم الذي يعود عليه الضمير، ولكن لم تقتصر استعانتهم بالسياق اللغوي فحسب، بل تجدهم يستهدون بالعنصر الخارجي في تحديد ذلك الاسم، وكان سبب النزول حاضرا كواحد من العناصر الخارجية التي تمثل سياق حال ماضية تعين المفسر على فهم النص القرآني، ثم تحديد

[1] - الكافية في النحو: 32، وأمالي ابن الحاجب: 2/ 521.
[2] - ينظر: الكافية في النحو: 32.
[3] - ينظر: أمالي ابن الحاجب: 1/ 118.
[4] - شرح شذور الذهب (ابن هشام): 175.
[5] - الكتاب: 2/ 6.
[6] - ينظر: شرح التسهيل: 1/ 157، يقول: ((إذا ذُكر ضمير واحد بعد اثنين فصاعدًا جُعل للأقرب, ولا يجعل لغيره إلا بدليل من خارج))

عود الضمير في مسائل بعينها، والصفحات الآتية كفيلة بعرض مجموعة من الآيات كان لسبب النزول أثره في تحديد عود الضمير.

سأبدأ بالضمير المنفصل، فالمتصل، وبضمير الرفع بارزا فمستترا، ثمّ بضمير الجر، وإن اجتمع الضمير المنفصل مع المتصل في آية لم اتجاوز المتصل إلى بابه، إنما تناولته مع المنفصل؛ دفعا لإعادة البحث مرة ثانية في الآية نفسها، وهو ما يغنينا عن الإعادة والتكرار.

-أثر أسباب النزول في عود ضمير الرفع المنفصل الدال على الواحد:

من مسائل هذا الباب اختلاف المفسرين والمعربين في ضمير الرفع المنفصل في قوله تعالى: سمحقُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌسجى [الإخلاص: 1].

اختلف المفسرون والمعربون في ضمير الرفع المنفصل (هو)، على قولين:

الأول: أنه ضمير شأن مبتدأ، خبره الجملة بعده من المبتدأ والخبر[1]، وهي جملة مفسِّرة، والموضع موضع تعظيم[2]؛ فـ(هو): ضمير الشأن مبتدأ، و(الله أحد)، مبتدأ وخبر، وكأن المعنى: قُل: الأمر والشأن: الله أحد.

الثاني: أن الضمير (هو) عائد على ما يفهم من السياق الحالي المتمثل بسبب نزول الآية، فإنه يُروى أنّه قيل لرسول الله: انسب لنا ربّك، أو صف لنا ربَّك[3]، أو أنه قيل له: ما ربُّك أنحاس هو أم حديد[4]؟ فنزلت الآية.

ووفقا لهذا المعنى المستند إلى سبب النزول يحتمل النص أكثر من وجه إعرابي، فيمكن أن يكون الضمير (هو) مبتدأ، ولفظ الجلالة مبتدأ ثان خبره (أحد)، والمبتدأ الثاني وخبره خبر للمبتدأ الأول، وقيل: إنّ الضمير مبتدأ، ولفظ الجلالة خبره، و(أحد) بدل منه؛ ذكرهما ابن عطية[5]، ويحتمل أن يكون الضمير مبتدأ له خبران، الأول لفظ الجلالة، والثاني (أحد)، ذكره أبو حيان بعد ذكر سبب النزول، قال: "فَإِنْ صَحَّ هَذَا السَّبَبُ، كَانَ هُوَ ضَمِيرًا عَائِدًا عَلَى الرَّبِّ، أَيْ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَيْ: رَبِّي اللَّهُ، وَيَكُونُ مُبْتَدَأً وَخَبَرًا، وَأَحَدٌ خَبَرٌ ثَانٍ"[6]، ويجوز أن يكون لفظ الجلالة بدلا من الضمير، (وأحد) خبر[7]، صرّح السمين الحلبي بهذا الوجه إضافة إلى الوجوه الأخرى المذكورة مستندا في ذلك إلى سبب النزول.

فسبب النزول أضاف فهما جديدا للآية رافقه عود للضمير مختلف، ثمّ اختلف توجيه النص نحويا استنادا إلى الفهم الجديد، والمعوّل عليه سبب النزول.

-أثرها في عود ضمير الرفع المنفصل الدال على الجماعة، ومعه الضمير المتصل المجرور:

ربما يُختلف في عود الضمير المنفصل، وعود الضمير المتصل في الآية نفسها، وهو ما نلحظه في قوله تعالى: سمحوَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَسجى [الأنعام: 26].

---

[1] - ينظر: الكشاف: 4/ 817،
[2] - ينظر: الدر المصون: 11/ 149.
[3] - ينظر: جامع البيان: 688/24، وتأويلات أهل السنة: 10/ 643، وأسباب النزول: 471، والتفسير البسيط: 24/ 425، ولباب النقول: 219.
[4] - ينظر: التفسير البسيط: 24/ 426، والتفسير الكبير: 32/ 357،
[5] - ينظر: المحرر الوجيز: 5/ 536.
[6] - البحر المحيط: 10/ 571.
[7] - ينظر: الدر المصون: 11/ 149.

اختلف المفسرون في الضميرين الواردين في النص، أعني المرفوع (هم)، والمجرور في قوله (عنه) على من تعود؟، وكان لسبب النزول أثر في ذلك الاختلاف.

لقد سبق ذكر القرآن، وذكر النبي محمد (ص)؛ لذلك فالضمير في قوله (عنه)، يحتمل أن يكون عائدا على القرآن، ويحتمل أن يكون عائدا على النبي (ص)، أما الضمير المرفوع فيعود على الكفار السابق ذكرهم، أو على أبي طالب وأصحابه استنادا إلى سبب النزول على ما سيأتي.

ذهب بعضهم إلى أنّ الضمير المرفوع (هم) يعود على الكفار، وأنّ المجرور في الموضعين يعود على الرسول (ص)، إذ تقدم ذكره في قوله: سمحوَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ سجى، وسمححَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَسجى [الأنعام: 25].

وذهب آخرون إلى أن الضمير المرفوع يعود على أبي طالب، وأنّ الضمير المجرور يعود على الرسول مستندين إلى سبب النزول، إذ ذكر المفسرون أنّ الآية "نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَنْهَى الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَيَتَبَاعَدُ عَمَّا جَاءَ بِهِ"[1]. وعلى هذا القول يكون ثمة "التفات، وهو خروج من الخطاب إلى الغيبة، فإن قوله: سمحجَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَسجى خطاب للرسول، فخرج من هذا الخطاب إلى الغيبة"[2].

والمعنى وفقا لسبب النزول المذكور، هو أنّ أبا طالب كان يدافع عن الرسول ويذب عنه، وهو القائل في الحادثة نفسها[3]:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أُوَسَّد في التراب دَفينا

فانهض لأمرك ما عليك غضاضة ... وطِبْ نَفْساً وقَرّ منك عيونا

ولكنه في الوقت نفسه يبعد عنه، والابتعاد هنا كناية عن عدم الإيمان بما جاء به النبي من رسالة[4].

وقد ذكر القرطبي قصة سبب نزول هذه الآية، بما لا يدع–وفقا للسبب– مجالا من الشك في عود الضمير، ملخص ما ذكره أنّ الرسول (ص) دخل الكعبة لأداء الصلاة فلما رآه أبو جهل: من يُفسد عليه صلاته؟ فقام رجل يدعى ابن الزبعرى وأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبي (ص)، ثم أتى عمه أبو طالب وقد عرف من فعل به ذاك، فأخذ فرثا ودما ولطّخ به وجه ابن الزبعرى ومن كان معه وأساء لهم، فقال له الرسول (ص): يا عم نزلت فيك آية، قال: وما هي؟ فقال له الرسول (ص): تمنع قريشا أن تؤذيني، وتأبى أن تؤمن بي، فأنشد أبو طالب أبياته الشعرية المعروفة، والمذكورة سابقا[5]

وقيل أنّ الضمير في الموضعين يعود إلى القرآن، وهو الذي عاد عليه الضمير المنصوب في (يفقهوه)، المذكورة في الآية السابقة في قوله: سمحوَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَسجى، [الأنعام: 25]، فالقرآن مشار إليه بقوله (إن هذا)، ثم ذكر بعد ذلك الآية محل البحث سمحوَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ سجى أي: ينهون عن القرآن، ويبتعدون عنه، ونسب هذا القول لقتادة ومجاهد[6].

---

[1] - أسباب النزول: 215.
[2] - الدر المصون: 4/ 580- 581.
[3] - ينظر: المحرر الوجيز: 2/ 280، والبحر المحيط: 4/ 472، وفي ديوانه (ص87) اختلاف في رواية البيت الثاني، وروايته:
فانفذ لأمرك ما عليك غضاضة فكفى بنا دنيا لديك ودينا
[4] - ينظر: معترك الأقران: 3/ 270.
[5] - ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 6/ 405- 406.
[6] - ينظر البحر المحيط: 4/ 472.

وذكر الطبري في تأويل الآية ثلاثة أقوال[1]:

الأول: أنّ الضمير في (هم) يعود على المشركين، والضمير في (عنه) يعود في الموضعين على الرسول، والمعنى أنّ المشركين المكذبين بآيات الله ينهون الناس عن اتباع النبي (ص)، ويتباعدون عنه.

الثاني: أن الضمير المرفوع يعود على المشركين، وأن الضمير المجرور يعود على القرآن، والمعنى: أنّ المشركين يبتعدون عن القرآن، وينهون الناس عن أن يسمع له، وأن يعمل بما فيه.

الثالث: أنّ الضمير المنفصل (هم) يعود على أبي طالب وأصحابه، والضمير في (عنه) المتعلقة بـ(ينهون) يعود على الرسول، والضمير في عنه المتعلقة بـ(ينأون) يعود على الدين الذي جاء به محمد (ص)، مستندا في ذلك إلى سبب النزول، حيث ذكر أنّ الآية "نزلت في أبي طالب، كان ينهى عن محمد أن يُؤذَى، وينأى عما جاء به أن يؤمن به"[2].

فالاختلاف في عود الضمير قائم، وسبب النزول حاضر في تحديد عود الضمير، وإن اختلف السبب اختلف القول في عود الضمير.

-أثرها في عود ضمير الرفع المتصل:

من ذلك اختلاف المفسرين والمعربين في ضمير الرفع (الواو) في قوله تعالى: سمحيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞسجى [البقرة: 215].

الخطاب في (يسألونك) موجه للرسول محمد (ص)، وليس ثمة خلاف في ذلك، والاختلاف في عود الضمير المرفوع، ومنشأ الخلاف مبني على الاختلاف في سبب النزول.

ثمة روايتان في سبب نزول هذه الآية، إحداهما ذكرها الواحدي، إذ ذهب إلى أنّ الآية "نَزَلَتْ فِي عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ الْأَنْصَارِيِّ[3] وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ذَا مَالٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمَاذَا نَتَصَدَّقُ؟ وَعَلَى مَنْ نُنْفِقُ؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ"[4]، والضمير استنادا إلى ذلك يعود على المذكور في السبب.

وذكر السيوطي في سبب نزولها قولين، الأول ما ذكره الواحدي، والثاني أنها نزلت "في يوم الأحزاب ...سأل المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يضعون أموالهم فنزلت يسألونك ماذا ينفقون"[5].

والضمير المرفوع في (يسألونك) على القول الثاني يعود على جماعة المؤمنين الذين كانوا حاضرين عند الرسول، وسألوه أين يضعون أموالهم، وكان ذلك سبب نزول الآية، قال صاحب اللباب: قيل إنّ الضمير في «يَسْأَلُونك» يعود على المؤمنين؛ لأنّ سبب النزول يشير إلى ذلك، ولأن أكثر الحاضرين عند الرسول (ص) كانُوا مسلمين، وهو ما يفصح عنه سياق الآيات السابقة[6].

---

[1] - تفسير الطبري: 11/ 311- 313.
[2] - تفسير الطبري: 11/ 313.
[3] - عمرو بن الجموح بن زبد بن حرام بن كعب بن سلمة الخزرجي الأنصاري.شهد العقبة، وبدرًا وأحدًا، وجعله النبي - صلى الله عليه وسلم - سيد بني سَلِمة. وهو معذور لشدة عرجه، واستُشْهِد بها، وروي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: "كأني انظر إليك تمشي برجلك هذِه صحيحة في الجنَّة"، ينظر: أسد الغابة لابن الأثير: 3/ 703- 704.
[4] - أسباب النزول: 67- 68.
[5] - لباب النقول في أسباب النزول: 30.
[6] - ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 4/ 5.

وثمة رواية أخرى ذكرها النيسابوري يذهب فيها إلى أنّ الآية نزلت "في رجل أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: إن لي دينارًا؟ فقال: "أنفقه على نفسك" فقال: إن لي دينارين! فقال: "أنفقهما على أهلك"، فقال: إن لي ثلاثة؟ فقال: "أنفقها على خادمك"، فقال: إن لي أربعة؟ قال: "أنفقها على والديك"، وقال: إن لي خمسة؟ قال: "أنفقها على قرابتك"، قال: إن لي ستة؟ قال: "أنفقها في سبيل الله، وهو أخسها"[1].

فالاختلاف في عود الضمير المرفوع عائد إلى الاختلاف في سبب نزول الآية، فهو عائد على واحد مخصوص استنادا إلى القول الأول المذكور في سبب نزول الآية، وهو عائد على المجموع المعلوم من القول الثاني المذكور في السبب، حيث سأل النبي أصحابه، أي شيء ينفقون؟ وعلى من يتصدقون به؟ فنزلت الآية، وهو عائد على رجل آخر غير المذكور في القول الأول استنادا إلى سبب النزول الذي ذكره النيسابوري.

ومنه اختلافهم في الضمير (الواو) في (أذاعوا) من قوله تعالى: سمحوَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗاسجى [النساء: 83].

في عود الضمير المرفوع في (أذاعوا) ثلاثة أقوال، **الأول:** أنه يعود على المنافقين[2]، وهم الذين عَادَتْ عَلَيْهِم الضمائرُ في (وَيَقُولُونَ)، و(بَرَزُوا)، و(مِنْهُمْ)، و(مَا يُبَيِّتُونَ)، و(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ) و(لَوَجَدُوا) من قوله تعالى سمحوَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗاسجى [النساء: 81]

ويؤيد عود الضمير على المنافقين ما قيل في سبب نزول الآية، فقد ذكر الثعلبي في رواية "عن ابن عباس في قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ} يعني المنافقين، كانوا إذا أمروا بالقتال لم يطيعوا الله فيما أمرهم به، وإن نهاهم عن محارمه لم ينتهوا، وإن أفضى الرسول إليهم سرًّا أذاعوا عند العدو، لكيلا يلتئم ، فأنزل الله تعالى ردًّا عليه"[3].

وفي التفسير الوسيط "الآية، نزلت في قوم كانوا يرجفون بسرايا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويخبرون بما وقع بها من هزيمة، وبما أدركت من غنيمة قبل أن يخبر بها النبي (ص)، فيضعفون قلوب المؤمنين ويؤذون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبقهم إياه بالأخبار، فأنزل الله تعالى وإذا جاءهم يعني المنافقين وأصحاب الأراجيف، {أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ} [النساء: 83] حديث فيه أمن، أو الخوف: يعني الهزيمة أذاعوا به: أفشوه وأظهروه"[4].

والمعنى وفقا لذلك أنّ الإفشاء نابع من حقد مكنون في أنفس المنافقين، وهم إنما يُفشون ذلك ويحدثون به بقصد المفسدة وتثبيط همم المسلمين، وهو ما يناسب عمل المنافق.

الثاني: أنه يعود على قوم من ضعفاء المسلمين الذين لم يكونوا من ذوي الخبرة باستنباط الأمور[5]، استنادا إلى المعنيّين بسبب نزول الآية المذكور، فقد ذُكر أنها نزلت في ضعفاء المسلمين إذ "كانوا إذا بلغهم خَبَرٌ عن السرايا والجيوش وغير ذلك تكلّموا به وأَشهروه قبل أن يعلموا صحَّتَه، وكان في إذاعتهم له مفسدة على المسلمين مع ما في ذلك من العجلة، وقلة التثبت، فأنكر الله عليهم ذلك"[6].

---

[1] - التفسير البسيط: 4/ 125.
[2] - ينظر: تفسير الطبري: 8/ 570، والمحرر الوجيز: 2/ 83، والتفسير الكبير: 10/ 153.
[3] -الكشف والبيان: 10/ 491.
[4] - التفسير الوسيط: 2/ 87.
[5] - ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 2/ 83، والكشاف: 1/ 540، والمحرر الوجيز: 2/ 84، والبحر المحيط: 3/ 726.
[6] - معترك الأقران: 3/ 264.

وفي قول آخر " عن عمر بن الخطاب، قال: لما اعتزل النبي (ص) نساءه دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله (ص) نساءه، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق نساءه؛ فنزلت هذه الآية"[1].

فالضمير في (أذاعوا) يعود على أولئك المشار إليهم في سبب النزول، وهم من المسلمين، والمعنى أنهم إنما يفشون ذلك بسبب جهل فيهم، وقلة معرفة، وليس بقصد المفسدة وتوهين المسلمين.

الثالث: أنّ الضمير المرفوع يعود على كل من المنافقين، وضعفاء المسلمين، استنادا إلى ما قالته فرقة من "أنّ الآية نزلت في المنافقين، وفي من ضعف جلده عن الإيمان من المؤمنين وقلت تجربته"[2]، فالضمير وفقا للسبب المذكور يكون حينئذ عائدا على هؤلاء وعلى أولئك، أي: على المنافقين، وعلى ضعفاء المسلمين.

فالمعوّل عليه في تحديد عود الضمير أمران: السياق اللغوي، وسبب النزول، وعلى الرغم من أنّ الآيات السابقة ترجح عوده على المنافقين، ويؤيده ما قيل من وجه في سبب النزول، إلا أنّ بعضا مما قيل في سبب نزول الآية يرجح عوده على ضعفاء المسلمين، فالتعارض قائم والتدافع حاضر بين السياق اللغوي، وبين ما قيل في سبب النزول.

-أثرها في عود الضمير المستتر:

لم تقتصر الاستعانة بأسباب النزول لمعرفة عود الضمير البارز فحسب، بل نجدهم يستعينون بها في تحديد عود الضمير المستتر كذلك، من ذلك ما ورد في قوله تعالى: **سمح**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ**سجى** [آل عمران: 173].

في فاعل الفعل (زاد) الوارد في النص ثلاثة أوجه، واحد منها يستند إلى سبب النزول، وهو أنّ الفاعل يعود إلى شخص بعينه، كما نُقل في سبب النزول، وهو نعيم بن مسعود الأشْجَعِيّ[3].

أما الثاني وهو الأشهر، فإن الفاعل يعود إلى المصدر المفهوم من (قال)، والتقدير: فزادهم قولهم، أو القولُ إيمانا[4]، وأما الثالث فإنّه يعود على المقول المفهوم من المذكور قبل الفعل، هو قوله تعالى: **سمح**إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ**سجى**، فكأنه قيل: قالوا لهم هذا الكلام فزادهم إيمانا[5].

وبالعودة إلى سبب النزول فقد ذكرت المصادر أن هذه الآية نزلت في غزوة بدر الصغرى، وملخص ذلك أنّ أبا سفيان قد خرج وقومه للقاء الرسول (ص)، وقد ألقى الله تعالى الرعب في قلبه، وبدا له أن يرجع، فلقي نُعيم الأشجعي، فطلب منه أن يذهب إلى المدينة ويثبط المسلمين، فلما ذهب لهم نعيم وجدهم يتجهزون، فقال لهم: ما هذا بالرأي، إن ذهبتم لهم لم يرجع منكم أحد، فلم يلتفت المسلمون إلى تخويف نعيم، وعزموا على لقاء المشركين[6]، فنزلت الآية.

ووفقا للرواية المذكورة في سبب النزول فإنّ (الناس) الأول في النص القرآني هو: نُعيم الأشجعي، و(الناس) الثاني هم: أبو سفيان ومن معه، وعليه فإنّ وجها من الوجوه التي ذكرها الزمخشري في الضمير المستتر

---

[1] - لباب النقول: 63- 64.
[2] - المحرر الوجيز: 2/ 84.
[3] - ينظر: الكشاف: 1/ 442، الدر المصون: 3/ 489، اللباب في علوم الكتاب: 6/ 59.
[4] - ينظر: معاني القرآن (الفراء): 1/ 352، معاني القرآن (الأخفش): 1/ 240، وتفسير الطبري: 21/ 261، التفسير البسيط: 6/ 180، والتبيان في إعراب القرآن: 1/ 310.
[5] - ينظر: الكشاف: 1/ 442، اللباب في علوم الكتاب: 6/ 59.
[6] - ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 1/ 489- 490، وتأويلات أهل السنة: 2/ 533.

في (فزادهم)، أنه يعود على شخص معين، وهو (نُعيم الأشجعي) المذكور في سبب النزول[1]، والمعنى: فزادهم نُعيمٌ بقوله إيمانا.

ووجه زيادة الإيمان أنّ المسلمين لم يسمعوا مقولة نعيم وأخلصوا النية والعزم على الجهاد، فكان فيما جاء به نعيم تثبيت ليقينهم، وترسيخ لاعتقادهم، وزادوا قوة وصلابة على ما كانوا عليه قبل ذلك[2].

ومنه في قوله تعالى: سمحلَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا سجى [النساء: 123].

لم يذكر اسم (ليس) في النص ظاهرا، ولا ضميرا متصلا، إنما جيء به ضميرا مستترا لم يتقدم له ذكر؛ لذلك يكاد يكون سبب النزول هو المعوّل عليه في تحديد عود الضمير المستتر.

ذكر الواحدي سببين في نزول هذه الآية، ليس بينهما كثير من الاختلاف، الأول: أنه "جَلَسَ أَهْلُ الكتاب – أهل التوارة وأهل الْإِنْجِيلِ – وَأَهْلُ الْأَدْيَانِ كُلُّ صِنْفٍ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: نَحْنُ خَيْرٌ مِنْكُمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ"[3]، والثاني: أن المسلمين وأهل الكتاب قد احتج كل واحد منهم على الآخر، "فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: نَحْنُ أَهْدَى مِنْكُمْ، نَبِيُّنَا قَبْلَ نَبِيِّكُمْ، وَكِتَابُنَا قَبْلَ كِتَابِكُمْ، وَنَحْنُ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْكُمْ؛ وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: نَحْنُ أَهْدَى مِنْكُمْ وَأَوْلَى بِاللَّهِ، نَبِيُّنَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَكِتَابُنَا يَقْضِي عَلَى الْكُتُبِ الَّتِي قَبْلَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ"[4].

وعلى كلا القولين يصلح أن يكون التقدير: ليس ما ادعيتموه بأمانيكم، وعود الضمير في هذه المسألة معوّل فيه على سبب النزول كما هو واضح؛ لأنّ الضمير المستتر لم يتقدم له ذكر يمكن الركون إليه في تحديد عوده.

والتقدير المذكور لاسم ليس قال به أكثر المفسرين، فقد ذكر مكي بن أبي طالب أنّ الضمير المستتر في (ليس) "يعود على مَا ادَّعَت عَبدة الْأَوْثَان من أَنهم لن يبعثوا، وعَلى مَا قَالَت الْيَهُود وَالنَّصَارَى: لن يدْخل الْجنَّة إِلَّا من كَانَ هودا أَو نَصَارَى؛ فَأنْزل الله: لَيْسَ ذَلِك بأمانيكم يَا عَبدة الْأَوْثَان، وَلَا بأماني أهل الْكتاب، وَالْمعْنَى لَيْسَ الْكَائِن من أُمُوركُم يَوْم الْقِيَامَة مَا تتمنون، وَقيل تَقْدِيره: لَيْسَ ثَوَاب الله بأمانيكم"[5].

فالضمير عنده يعود على الذي ادعاه عبدة الأوثان، والمعنى: ليس الذي ادعيتموه بأمانيكم، وهو الأظهر، أو أنه يعود على شيء آخر قال إنّ تقديره: ثواب الله.، أي: ليس ثواب اللهِ بأمانيكم.

وقال العكبري: إنّ اسْمُ لَيْسَ ضمير مستتر، لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ ذِكْرٌ، والذي يدل عليه سبب نزول الآية، وإنّ تقديره: ليس ما ادعيتموه بأمانيكم، ذكره مستندا إلى سبب النزول الذي ساقه قبل تقديره لاسم ليس[6].

ومما ذكره الطبري أن الآية نزلت في مشركي قريش حين قالوا: إننا لا نبعث ولا نُعذب[7]، وهو – عنده– أولى بالصواب، لعدم ذكر أماني المسلمين فيما مضى من الآيات، ثمّ قدّر اسم ليس بـ(الأمر)، إذ إنّ تأويل الآية عنده: ليس الأمر بأمانيكم [8].

---

[1] - ينظر: الكشاف: 1/ 442.
[2] - ينظر: تأويلات أهل السنة: 2/ 533، الكشاف: 1/ 442.
[3] - أسباب النزول: 182.
[4] - أسباب النزول: 182، وينظر: لباب النقول: 72.
[5] - مشكل إعراب القرآن: 1/ 208.
[6] - ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 1/ 392.
[7] - ينظر: تفسير الطبري: 9/ 232.
[8] - ينظر: تفسير الطبري: 9/ 234.

وذكر الزجاج أنّ اسم ليس مضمر، وقدره بـ(الثواب)، ليكون المعنى عنده: ليس ثواب الله بأمانيكم ولا أمانِي أهل الكتاب، وذهب إلى أنّ هذا المضمر قد جرى ما يدل عليه[1].

فالأقوال متعددة في عود الضمير المستتر، إلا أنّ أبزها ترجيحا عند المفسرين ما فُهم من سبب نزول الآية؛ فالسياق اللغوي خال من وجود اسم ظاهر يعود عليه الضمير المستتر، فكان السياق الحالي المُستدعى ممثلا بسبب النزول معوّلا عليه في تعيين ذلك الاسم.

-أثرها في عود ضمير الجر:

من مسائل اختلاف المفسرين والمعربين في عود الضمير المجرور ما نلفيه في قوله تعالى: **سمح**وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ**سجى**[الأنعام: 52].

اختلف المفسرون في الضميرين في (حسابهم)، و(عليهم)، على ماذا تعود؟ وكان لسبب النزول أثر في بيان عود الضميرين.

ذكر الطبري أنّ "الآية نزلت على رسول الله (ص) ، في سبب جماعة من ضعفاء المسلمين، قال المشركون له: لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك!" [2].

وذهب إلى أنّ الضميرين يعودان على الضعفاء من المسلمين المذكورين في السبب، والمعنى عنده أنك يا محمد " ما عليك من حساب ما رزقتهم من الرزق من شيء، وما عليهم من حساب ما رزقتك من الرزق من شيء "فتطردهم"، حذارَ محاسبتي إياك بما خوّلتهم في الدنيا من الرزق"[3]؛ وهذا المعنى الذي ذكره الطبري مفهوم من سبب النزول، و(الحساب) مصدر أضيف إلى معموله.

وذكر الواحدي في قول من قولين أنّ الضميرين يعودان على المشركين وإن لم يجر لهم ذكر في السياق اللغوي، مستندا إلى رواية ذكرها ابن عباس عن عطاء، قال " قال ابن عباس في رواية عطاء: (ما عليك من حساب المشركين من شيء، ولا على المشركين من حسابك من شيء، إنما الله الذي يثيب أولياءه ويعذب أعداءه، وأنت وأصحابك قد غفر الله لهم وصاروا إلى رحمته)، وعلى هذا الكناية في {حِسَابِهِمْ}، و{عَلَيْهِمْ} تعود إلى المشركين الذين قالوا للنبي (ص) أن يطرد عنه الفقراء "[4].

وقال في قوله الثاني إنّ المفسرين "يردون الكناية إلى {الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} وهم الفقراء وذلك أشبه بالظاهر؛ لأن الكناية في قوله: {فَتَطْرُدَهُمْ} عائدة على الفقراء لا محالة، فكذلك ما قبله من الكناية أشبه أن تعود عليهم"[5].

وحاصل ما ذُكر في المسألة قولان، **الأول:** أنّ الضمير في (حسابهم)، و(عليهم) تعود على الضعفاء من المسلمين، وهو ما لم يذكر الطبري غيره[1]، وهو كذلك ما يقتضيه تناسق الضمائر المذكورة في الآية، ويؤيده

---

[1] -ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 2/ 111،والذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ [النساء: 122].

[2] - تفسير الطبري: 11/ 374.
[3] - تفسير الطبري: 11/ 388.
[4] - التفسير البسيط: 8/ 168.
[5] - التفسير البسيط: 8/ 169.

سبب نزولها، يقول الرازي: " أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، وَهُمُ الْفُقَرَاءُ، وَذَلِكَ أَشْبَهُ بِالظَّاهِرِ. وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ الْكِنَايَةَ فِي قَوْلِهِ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ عَائِدَةٌ لَا مَحَالَةَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ سَائِرُ الْكِنَايَاتِ عَائِدَةً إِلَيْهِمْ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فَذَكَرُوا فِي قَوْلِهِ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْكُفَّارَ طَعَنُوا فِي إِيمَانِ أُولَئِكَ الْفُقَرَاءِ وَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُمْ إِنَّمَا اجْتَمَعُوا عِنْدَكَ وَقَبِلُوا دِينَكَ لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ بِهَذَا السَّبَبِ مَأْكُولًا وَمَلْبُوسًا عِنْدَكَ، وَإِلَّا فَهُمَ فَارِغُونَ عَنْ دِينِكَ، فَقَالَ اللَّه تَعَالَى إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ، فَمَا يَلْزَمُكَ إِلَّا اعْتِبَارُ الظَّاهِرِ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ بَاطِنٌ غَيْرُ مَرْضِيٍّ عِنْدَ اللَّه، فحسابهم عليه لازم لَهُمْ، لَا يَتَعَدَّى إِلَيْكَ، كَمَا أَنَّ حِسَابَكَ عَلَيْكَ لَا يَتَعَدَّى إِلَيْهِم... الْقَوْلُ الثَّانِي: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِ رِزْقِهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَمَلَّهُمْ وَتَطْرُدَهُمْ، وَلَا حِسَابُ رِزْقِكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا الرَّازِقُ لَهُمْ وَلَكَ هُوَ اللَّه تَعَالَى، فَدَعْهُمْ يَكُونُوا عِنْدَكَ وَلَا تَطْرُدْهُمْ"[2].

الثاني: أنه يعود على المشركين[3]؛ "والمعنى مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ شَيْءٍ وَلَا حِسَابُكَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَإِنَّمَا اللَّه هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ عَبِيدَهُ كَمَا يَشَاءُ وَأَرَادَ. وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ النَّبِيَّ (ص) يَتَحَمَّلُ هَذَا الِاقْتِرَاحَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ، فَلَعَلَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ وَيَتَخَلَّصُونَ مِنْ عِقَابِ الْكُفْرِ "[4]، والجملتان: (ما عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء) على هذا القول جاءتا اعتراضا بين النهي وجوابه[5]، والقولان كلاهما استندا إلى سبب النزول في تعيين عود الضمير.

الخاتمة:

لا يدخر المفسر والمعرب جهدا في البحث عن السبل الكفيلة برفع الغموض الذي يلفّ النص القرآني؛ لذلك نجدهم يستعينون بالعناصر الخارجية محاولين الوصول إلى الدلالة القطعية للنص، منها أسباب نزول الآيات القرآنية، وقد كان نتاج ذلك أن أضاف هذا العنصر فهما جديدا للنص القرآني، قد يرافقه توجيه نحوي مختلف.

لقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن إيجازها بالآتي:

1- عمل المفسرون على توظيف السياق اللغوي إلا أنه لم يكن كافيا في كشف الدلالة الكامنة خلف النص؛ فكان للعنصر الخارجي حضوره في تفسيراتهم، فعملوا على استحضار أسباب النزول ليعيشوا الظروف والملابسات التي رافقت النزول.

2- كان لسبب النزول أثرٌ في التوجيه النحوي لبعض نصوص القرآن الكريم، فالفهم الجديد الذي يستدعيه سبب النزول يرافقه في أحيان كثيرة توجيه نحوي يناسبه.

3- أثّر سبب النزول في تعيين الاسم الذي يعود عليه الضمير، منفصلا كان أم متصلا، بارزا كان أم مستترا، فسبب النزول يؤدي دورا في إضافة توجيه نحوي آخر يضاف إلى التوجيهات النحوية المحتملة.

4- أنّ اختلاف المفسرين في أسباب نزول بعض الآيات، رافقه في بعض الأحيان اختلاف في عود الضمير؛ لذا فإنّ استحضار سبب النزول كان واحدا من بواعث الاحتمال النحوي في القرآن الكريم .

---

[1] - ينظر: تفسير الطبري: 11/ 288.
[2] - التفسير الكبير: 12/ 542- 543.
[3] - ينظر: التفسير ابسيط: 8/ 168، والكشاف: 2/ 28، والتحرير والتنوير: 2/ 295.
[4] - التفسير الكبير: 12/ 542.
[5] - ينظر: البحر المحيط: 4/ 523.

المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم**

1-الإتقان في علوم القُرآن، جلال الدين السَّيوطي (ت 911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1974م.

2- ارتشاف الضرب، أبو حيَّان الأندلسي (ت 745هـ)، تح: د. رجب عثمان محمَّد، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي، مط المدني، القاهرة، ط1، 1998م.

3-أسباب نزول القرآن، الواحدي (ت 468هـ)، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط2، 1992م.

4- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (ت630هـ)، تح: محمد إبارهيم البنا وآخرون، دار الفكر، بيروت، د. ط، 1989م.

5-أمالي ابن الحاجب، ابن الحاجب (ت646هـ)، تح: فخر صالح سليمان، دار عمار الأردن، دار الجيل، بيروت، د. ط، 1989م.

6- البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، د. ط، 1420هـ.

7- البرهان في علوم القُرآن، بدرُ الدين محمّد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م.

8- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٩١هـ)، مكتبة الآداب، ط17، 2005م.

9-تأويلات أهل السنة، الماتريدي (ت333هـ)، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2005م.

10- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ت 276هـ)، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د. ت، د. ط.

11-التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري (ت616هـ)، تح: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. ط، د. ت.

12- التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

13-التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تح: حسن هنداوي، دار القلم – دمشق (من 1 إلى 5)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا، ط1، د.ت.

14-التفسير البسيط، أبو الحسن الواحدي (ت468هـ)، تح: مجموعة من الباحثين، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ.

15- تفسير البغوي، المسمى **(معالم التنزيل في تفسير القرآن)، أبو محمد البغوي (510هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1420،1هـ.**

16- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

17- التفسير الوسيط، أبو الحسن الواحدي (ت468هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1994م.
18-الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت 671هـ)، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم طفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.
19- جامع البيان في تأويل آي القُرآن، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري(ت310هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
20-حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت، د. ط.
21- حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفيَّة ابن مالك، محمّد بن علي الصبَّان (ت 1206هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م.
-23
22- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي(ت756هـ)، تح، د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ت، د. ط.
23- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب، صنعه أبي هفان المهزمي البصري (ت257هـ)، وعلي بن حمزة البصري (ت375هـ)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، ط1، 2000م.
24-شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت900هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1998م.
25- شرح التسهيل، جمال الدين محمّد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي، تح: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة، ط1، 1990م.
26- شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت 905هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2000م.
عام: 1418 هـ - 1998 م.
27- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا، د. ط، د. ت.
28- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (656هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الدار اللبنانية للنشر، ط1، 2008م.
29- الكافية في علم النحو، ابن الحاجب (646هـ)، تح: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010م.
30- الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، تح وشرح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.
31- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمّد الزمخشري، وهو مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف)، لابن المنير الاسكندري (ت 683هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط3، 1407هـ.

32- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي (ت 427هـ)، تح: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة- المملكة العربية السعودية، ط1، 2015م.
33- اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي (ت ٧٧٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1998م.
34- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، ضبطه وصحح: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د. ط، د. ت.
35- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسّان، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، 1994م، د. ط.
36- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي (ت 542هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1،1422 هـ.
37- المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، تح: د. محمد كامل بركات، جامعة أم القرى (دار الفكر، دمشق – دار المدني، جدة)، ط1، 1405هـ.
38-مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب (ت473هـ)، تح: إبراهيم شمس الدين، دارالكتب العلمية، بيروت- لبنان، د. ط، د. ت.
39- معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي، المعروف بالأخفش الأوسط، (ت215هـ)، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1990م.
40- معاني القرآن، أبو زكريًّا يحيى بن زياد الفرّاء (ت 207هـ)، تح: أحمد يوسف نجاتي، ومحمّد علي النجّار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية، مصر، ط1، د.ت.
41- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج (ت 311هـ)، تح: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط.1، 1988م.
42- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1988م .
43- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تح: د. مازن المبارك، دار الفكر – دمشق، ١٩٨٥م، ط ٦.
44- الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي (790هـ)، مكتبة الأسرة 2006، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، د. ط.
45- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتب العلمية- بيروت، 1995م، د. ط.

Sources and references

*The Holy Quran
1- Proficiency in the Sciences of the Qur'an, Jalal Al-Din Al-Suyuti (d. 911 AH), edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, the Egyptian General Book Authority, 1, 1974 AD.
2- Relishing beatings, Abu Hayyan Al-Andalusi (d. 745 AH), edited by: Dr. Rajab Othman Muhammad, review: Dr. Ramadan Abdel-Tawab, Publisher: Al-Khanji Library, Mat Al-Madani, Cairo, 1, 1998 AD.

3-The Reasons for the Revelation of the Qur'an, Al-Wahidi (d. 468 AH), edited by: Essam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, Dar Al-Islah - Dammam, 2nd Edition, 1992 AD.
4- The Lion of the Forest in the Knowledge of the Companions, Ibn Al-Atheer (d. 630 AH), edited by: Muhammad Ibrahim Al-Banna and others, Dar Al-Fikr, Beirut, d. I, 1989 AD.
5- Amali Ibn Al-Hajeb, Ibn Al-Hajeb (d. 646 AH), Edited by: Fakhr Saleh Suleiman, Dar Ammar Al-Urdun, Dar Al-Jeel, Beirut, d. I, 1989 AD.
6- Al-Bahr Al-Moheet, Abu Hayyan Al-Andalusi, edited by: Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr - Beirut, d. i, 1420 AH.
7- The proof in the sciences of the Qur'an, Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah Al-Zarkashi (d. 794 AH), edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, House of Revival of Arabic Books, 1, 1957 AD.
8.In order to clarify to summarize the key in the sciences of rhetoric, Abdul Mutaal Al-Saidi (d. 1391 AH), Library of Arts, 17th edition, 2005 AD.
9- Interpretations of Ahl al-Sunnah, al-Maturidi (d. 333 AH), edited by: Majdi Basloum, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1, 2005 AD.
10- Interpretation of the Problem of the Qur'an, Ibn Qutayba (d. 276 AH), edited by: Ibrahim Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, d. T, d. i.
11- Al-Tibayan fi Al-Quran, Abu Al-Baqa Al-Akbari (616 AH), edited by: Ali Muhammad Al-Bajawi, Publisher: Issa Al-Babi Al-Halabi and Co., d. i, d. T.
12- Liberation and Enlightenment, Sheikh Muhammad Al-Taher bin Ashour (d. 1393 AH), Tunisian Publishing House, Tunis, 1984 AD.
13- Appendix and Supplementation in the Explanation of the Book of Tas'heel, Abu Hayyan Al-Andalusi, edited by: Hassan Hindawi, Dar Al-Qalam - Damascus (from 1 to 5), and the rest of the parts: Dar Kunouz of Seville, 1st edition, d.T.
14- The Simple Interpretation, Abu Al-Hasan Al-Wahidi (d. 468 AH), edited by: a group of researchers, publisher: Deanship of Scientific Research, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1, 1430 AH.
15- Tafsir al-Baghawi, called (The Milestones of the Download in the Interpretation of the Qur'an), Abu Muhammad al-Baghawi (510 AH), edited by: Abdul Razzaq al-Mahdi, House of Revival of Arab Heritage - Beirut, 1, 1420 AH.
16-The Great Interpretation or Keys to the Unseen, Fakhr Al-Din Muhammad Bin Omar Al-Razi (d. 606 AH), House of Revival of Arab Heritage, Beirut, 3rd edition, 1420 AH.
17- Intermediate Interpretation, Abu Al-Hasan Al-Wahidi (d. 468 AH), edited by: Sheikh Adel Ahmed Abdel-Mawgod and others, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut - Lebanon, 1, 1994 AD.
18- The Collector of the Rulings of the Qur'an, Al-Qurtubi (d. 671 AH), edited by: Ahmed Al-Baradouni, and Ibrahim Tfaish, Dar Al-Kutub Al-Masryah, Cairo, 2, 1964 AD.
19- Jami' al-Bayan fi Interpreting the Verses of the Qur'an, Abu Jaafar Muhammad bin Jarir al-Tabari (d. 310 AH), edited by: Ahmed Muhammad Shaker, Al-Resala Foundation, 1, 2000 AD.
20- Al-Desouki's footnote on the summary of meanings, Saad Al-Din Al-Taftazani (d. 792 AH), edited by: Abdul Hamid Hindawi, Al-Masaba Al-Asriya, Beirut, d. T, d. i.
21- Al-Sabban's Footnote on the Ashmouni Commentary on the Alfiya of Ibn Malik, Muhammad bin Ali Al-Sabban (d. 1206 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1, 1417 AH, 1997 AD.

22- Al-Durr Al-Masoon fi Al-Ulum Al-Kitab Al-Munnoun, Ahmed bin Youssef, known as Al-Samin Al-Halabi (d. 756 AH), T.H., Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharrat, Dar Al-Qalam, Damascus, d.T, d. i.
23- Diwan of Abi Talib bin Abdul Muttalib, made by Abi Hafan Al-Mahzmi Al-Basri (d. 257 AH), and Ali bin Hamza Al-Basri (d. 375 AH), edited by: Sheikh Muhammad Hassan Al Yassin, House and Library of Al-Hilal, 1, 2000 AD.
24- Explanation of Al-Ashmouni on Alfiya Ibn Malik, Ali bin Muhammad bin Issa, Abu Al-Hassan, Nour Al-Din Al-Ashmouni Al-Shafi'i (d. 900 AH), Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut - Lebanon, 1, 1998 AD.
25- Explanation of Tas'heel, Jamal Al-Din Muhammad bin Abdullah bin Malik Al-Ta'i Al-Jayani Al-Andalusi, edited by: Dr. Abdul Rahman Al-Sayed, Dr. Muhammad Badawi Al-Makhtoun, abandoned for printing, 1, 1990 AD.
25- Explanation of the Declaration on the Clarification, Sheikh Khalid bin Abdullah Al-Azhari (d. 905 AH), edited by: Muhammad Basil Oyoun Al-Soud, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, Edition 1, 2000 AD.Year: 1418 AH - 1998 AD.
27- Explanation of the roots of gold in the knowledge of the words of the Arabs, Ibn Hisham (d. 761 AH), edited by: Abdul Ghani Al-Daqer, United Distribution Company - Syria, d. i, d. T.
28- Explanation of Nahj al-Balaghah, Ibn Abi al-Hadid (656 AH), edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Lebanese Publishing House, 1, 2008 AD.
29- Al-Kafia in Grammar, Ibn Al-Hajeb (646 AH), edited by: Saleh Abdel-Azeem Al-Sha'er, Library of Arts, Cairo, 1, 2010 AD.
30- The book, Sibawayh Abu Bishr Amr bin Othman bin Qanbar (d. 180 AH), edited and explained by: Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd edition, 1988 AD.
31- The revealer of the facts of the mysteries of revelation and the eyes of gossip in the faces of interpretation, Abu al-Qasim Jarallah Mahmoud bin Omar bin Muhammad al-Zamakhshari, appended to the footnote (The Righteousness in the Content of the Scout), by Ibn al-Munir al-Iskandari (d. 683 AH), Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut - Lebanon. 3rd floor, 1407 AH.
32- Revealing and clarifying the interpretation of the Qur'an, Abu Ishaq al-Thalabi (d. 427 AH), edited by: a number of researchers, Dar al-Tafsir, Jeddah - Saudi Arabia, i 1, 2015 AD.
33- Al-Labbab fi Ulum Al-Kitab, Ibn Adel Al-Dimashqi (d. 775 AH), edited by: Sheikh Adel Ahmed Abdel-Mawgod and Sheikh Ali Muhammad Moawad, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut - Lebanon, 1, 1998 AD.
34- Bab al-Naqul fi Asbab al-Nuzul, Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH), edited and corrected by: Ahmad Abd al-Shafi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, d. i, d. T.
35- The Arabic language, its meaning and structure, d. Tammam Hassan, House of Culture, Casablanca - Morocco, 1994 AD, d. i.
36- The brief editor in the interpretation of the dear book, Ibn Attia Al-Andalusi (d. 542 AH), edited by: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, 1, 1422 AH.
37- The Helper to Facilitate Benefits, Baha Al-Din Bin Aqeel, edited by: Dr. Muhammad Kamel Barakat, Umm Al-Qura University (Dar Al-Fikr, Damascus - Dar Al-Madani, Jeddah), 1, 1405 AH.
38- The problem of the expression of the Qur'an, Makki bin Abi Talib (d. 473 AH), edited by: Ibrahim Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, d. i, d. T.

39-Meanings of the Qur'an, Abu al-Hasan al-Majashi'i, known as al-Akhfash al-Awsat, (d. 215 AH), edited by: Huda Mahmoud Qara'a, Al-Khanji Library, Cairo, 1st ed.
40- Meanings of the Qur'an, Abu Zakaria Yahya bin Ziyad Al-Farra (d. 207 AH), edited by: Ahmed Youssef Najati, Muhammad Ali Al-Najjar, and Abdel-Fattah Ismail Al-Shalabi, Dar Al-Masrya, Egypt, 1st edition, d.
41- The meanings and syntax of the Qur'an, Abu Ishaq Ibrahim bin Al-Sirri Al-Zajjaj (died 311 AH), edited by: Dr. Abdul Jalil Abdo Shalaby, The World of Books, Beirut - Lebanon, I. 1, 1988 AD.
42- The Battle of the Peers in the Miracles of the Qur'an, Jalal Al-Din Al-Suyuti, recorded and corrected, and his index books: Ahmed Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1988 AD.
43- Mughni Al-Labib on the authority of the Arabs, Ibn Hisham Al-Ansari (d. 761 AH), edited by: Dr. Mazen Al-Mubarak, Dar Al-Fikr - Damascus, 1985 AD, 6th edition.
44- Endorsements, Abu Ishaq al-Shatby (790 AH), Family Library 2006, General Egyptian Book Organization, 2006 AD, d. i.
45- The Sources of Ignorance in the Sciences of the Qur'an, Muhammad Abdul-Azim Al-Zarqani, edited by: Fawaz Ahmed Zamrli, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1995 AD, d. i.